

الحديث و الجماعة

للدكتور فضل الرحمان

مدير معهد الدراسات الاسلامية

ان أهم نواحي تاريخ الدين الاسلامي هي الحاجة الماسة الى المحافظة على اتحاد الجماعة و تماسكها تماسكاً متيناً و اذا ما غص النظر عنها أو قلة الاهتمام بها فانه سيؤدي الى الخطأ الكامل فس تفهم هذا التاريخ منذ أن أصبحت الاختلافات السياسية و الدينية و القانونية تهدد تماسك الجماعة ، لذلك فان النظرية القائلة بأن هذا الاتحاد سيكون نوعاً من التوحيد عن طريق السنة فما هو الا مظهراً من المظاهر لهذا العامل و من ثم فان المصطلح "السنة و الجماعة" كعبارة واحدة مركبة من عبارتين مختلفتين و انما تعبير كل واحد منهما جزء لا يتجزأ - و الحق أن الازدود كيسة في الاسلام هدفها الاسامي ليس فرض رأى بعينه أو شرح حقيقة الدين بل هو اقرار هذه الحقيقة و جعلها دون أن تكون واسطة بين الله و البشر و لا أن تكون طائفة مناهضة بين الطوائف الأخرى و أهل الحديث هم الذين قاموا بانشاء بنیان الازدود كسيرة الباهرة -

و في خلال الحروب السياسية نشأ جدال عنيف حول النظريات الدينية التعسفية و أدى ذلك الى نشأة حديث منبى يعرف بحديث الفتن و كان هذا النوع الجديد من الحديث يهدف الى اتخاذ طريق وسط بين النظريات السياسية و الدينية المتطرفة بين الخوارج و الشيعة و من أجل تبرير صحة هذا الحديث عن الفتن لجأ بعض المحدثين الى ترويج بعض الاحاديث الموضوعية المنسوبة الى الصحابي حذيفة فقد روى عنه :

قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظ و نسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء و انه ليكون منه الشئ قد نسيه فاراه فما ذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه فاراه . (متفق عليه)

وقد رواه البخارى ومسلم جميعا (١) و يقول أبو داؤد أن حذيفة حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم كل زعيم ذى رأى سياسى مخالف له اتباع يزيد عددهم على ثلاثمائة أو أكثر وقد كان يعلم صلى الله عليه وسلم اسمه واسم أبيه وقبيلته ،

قال أبو داؤد

والله ما أدري أنسى اصحابي أم تناسوا والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنه الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته (٢) -

وهناك حديث فتنه آخر رواه مسلم و البخارى عن حذيفة :

كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير و كنت أسأله عن الشر مخافة عن يد ركنى فقلت : يا رسول الله أنا كنا فى جاهلية و شر فجاءنا الله لهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ،

قال : نعم ، قلت : فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم و فيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتى و يهدون بغير هدى تعرف منهم و تنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم دعاة على أبواب جهنم من أجا بهم اليها قذفوه فيها ، قلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال : هم من جلدتنا و يتكلمون بألسنتنا ، قلت : فما تأمرنى ان ادركنى ذلك ، قال : تلزم جماعة المسلمين و امامهم ، قلت : فان لم تكن لهم جماعة و لا امام ، قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت و أنت على ذلك (٣)

وفى رواية المسلم قال : يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى و لا يستنون بسنتى و سيقوم فيه رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان انس قال حذيفة قلت : كيف اصنع يا رسول الله ان ادركت ذلك ، قال تسمع و تطيع الأئمة و ان ضرب ظهرك و أخذ مالك فاسمع و اطع (٤)

وكل من الحديثين غير مقبول كحديث نبوى ، لأن كونهما ليس أكثر من الحديث السالف الذكر (و قد اتخذ هذا الحديث أساسا بنى عليه الأحاديث

(المنبئة) وهذه الاحاديث ان تدعو الى شئ فانما تدعو أغلبية المسلمين الى اطاعة القيادة السياسية بأى حال من الاحوال الا الكفر - وهكذا فانا نرى أن حديث الاجماع نشأ عن ضرورة سياسية وحسب ، وهذا القول الفيصل بوجوب اطاعة حاكم ظالم ، ما هو الانصيحة صائبة حتمتها الظروف السياسية الناتجة عن الحروب الداخلية ، وقد وجهت هذه النصيحة على وجه الخصوص الى الثوار المحترفين أى الخوارج ، اذ نجد حديثا خاصا بالخوارج يندد بثورات الخوارج ويدعو الى الاستكانة والعزلة التامة فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله ستكون قتن القاعد فيها خير من القائم و القائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى . . . (الى آخر الحديث) رواه مسلم (٥)

و هذا الحديث لا يعنى شيئا الا أن يخالف الحركة الخارجية ، والنشاط السياسى و الواقع أن حديث العزلة يذهب أحيانا الى أبعد من ذلك فيدعو الى الغاء مبدأ الاجماع و الاخذ بالفردية البحتة ، اذ أن هناك رواية تقول أن النبي صل الله عليه وسلم نصح عبدالله بن عمرو بن العاص : "كيف بك اذا اقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم واماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قال : ما تأمرنى قال : عليك بما تعرف ودع ما تنكر و عليك بخاصة نفسك و اياك و عوامهم و فى رواية الزم فى بيتك و املك عليك لسانك و خذ ما تعرف و دع ما تنكر و عليك بأمر خاصة نفسك و دع أمر العامة (رواه الترمذى) (٦)

و مما يلاحظ أن لفظة "العامة" الواردة فى النص كانت تستعمل فى الكتابات السابقة متساوية للفظه الجماعة كما سنبينه فى بحثنا عما قريب ،

هذا وان كل حديث ليس يناهض الخوارج ، فهناك حديث عن باب المثل ، و يرويه ابن حنبل و أبو داؤد و الترمذى و ابن ماجه و يحتوى هذا الحديث بين جنباته نظرية سياسية و هى خارجية أصلا فالحديث يقول :

أوصيكم بتقوى الله و السمع و الطاعة و ان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدى فيسرى اختلافنا كثيرا فعليكم بسنتى و سنة الخلفاء

الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجز... (الى آخر الحديث ،
رواه احمد و ابو داؤد و الترمذى) (٧)

ففي هذا الحديث عنصر الطاعة المطلقة مخالف للخوارج ، وفيما يدل
على ذلك دلالة قاطعة فانه يدعو الى طاعة عبد حبشي أسود وذلك لأن
أهل السنة قالوا بأن "الامراء من قریش" بينما طالب الشيعة بأن الامارة
يجب أن تكون "لاهل بيت علي" ، وأما الخارجية فانهم انفردوا بمد الامارة
السياسية للجماعة الى كل مسلم وان كان عبدا حبشيا ، والشرط الوحيد الذي
يجب أن يتوافر فيه هو الكفاءة لمنصب الامارة ، و هذه الظاهرة أن أهل
السنة الجماعة أدخلوا في هذه النظرية بعض العناصر اليمينية و بعض
العناصر اليسارية الأخرى ، ليست هذه الظاهرة مقتصرة على هذا الحديث
وحده الذي أوردناه تمثيلا - وسياسة التاليف و الوساطة هذه هي جوهر
أهل السنة -

بما أن فكرة "أغلبية الطريق الوسط" قد نشأت عند الضرورة السياسية
الملحة في أولى مراحلها فانها لا بد من أن تطلق على المفاهيم الدينية
الشرعية كما كانت الفئات السياسية تتنايل نحو ايجاد أسس دينية شرعية
لأنفسها ، وقد قلنا في مقالتنا السابقة أن الامام أبا حنيفة كان يصف نفسه
بأنه واحد من أهل العدل و السنة و ذلك ازاء المجادلات الدينية (و من
الجدير أن يذكر القارى الكريم بعض المصطلحات مثل الجماعة من الحديث
أى الحديث المسلم به لدى الاغلبية أو الطبيعة الجباعية للحديث و السنة
و المعرفة التي استعملها أبو يوسف أكثر من مرة من أجل تمييزها من 'المعقد و
الغامض' ، و كان هذا الجدل حادا الى أقصى درجة الحدة لانه كان أول
جدال منطقي و اخلاقى فى الاسلام و حسب بل انه كان بطبيعة الحال يهدد
بنيان الجماعة المسلمة أشد تهديد ، و كان الجدل قد أثير حول هذه
المسألة و على وجه الدقة ، من هو مؤمن أو مسلم - ما تعريفه ؟ و كيف اذا
ارتكب رجل مسلم خطأ خلقيا كبيرا فهل يعتبر مسلما أم لا ؟ أما الخوارج
فكانوا يكفرون كل من ارتكب مثل هذا الخطأ ، و ليس هذا فحسب بل انهم
كانوا يكفرون من امتنع عن تكفير الجاني و كانوا يقولون بوجود الجهاد

على هؤلاء ، و بناء على هذا التحدى الخطير فقد نشأت ضرورة تعريف الاسلام العام تقبله الاغلبية ، فلا غرو أن يجبي هذا التعريف تعريفا وسطا و من ثم عدلا ولقد نشأ مذهب المرجئة كرد فعل لآراء الخوارج المتطرفة الجنونية ربما رحبت الدولة الآموية بآراء المرجئة القائلة بأن رجلا اذا أظهر اسلامه فلا يجوز تكفيره بسبب أعماله لأن الله يعلم ما يبطن و اليه جل و عز يرجع أمر الحساب و هو يحكم بالعدل و الحق .

على أن ابقاء الجماعة أمر لا بد منه فأحسن المرجئة بضرورة تعديل التعريف للمسلم يميز بين الاسلام و الايمان ، و أصبح هذا عنصرا هاسا للجماعة بالنسبة لمعتقدات أغلبية الجماعة و ها هنا حديث شهير للمرجئة و قد رواه البخارى و مسلم ، و قد روى عن الصحابي أبي ذر يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة ، قلت و ان زنى و ان سرق ؟ قال و ان زنى و ان سرق ، قلت : و ان زنى و ان سرق ، قال و ان زنى و ان سرق على رغم أنف أبي ذر (متفق عليه) (٨)

و مما يلاحظ أن أباذر كبرر سؤاله ثلاث مرات و كل مرة أجاب النبي صلى الله عليه وسلم بتأكيد رده عليه و كان أبوذر يكرر مفاخره قوله عليه الصلوة و السلام "على رغم أنف أبي ذر" و قد روى ابويوسف نفس الحديث فى تأليفه "كتاب الاثار" الا أنه يرويه عن صحابي آخر ألا و هو ابو الدرداء و يقول أبويوسف أن أبا الدرداء كان يذكر هذا الحديث كل يوم جمعة من على منبر الرسول صلى الله عليه وسلم (٩) ،

و مما لا ريب فيه أن رجلا رقيق الاحساس لا يستطيع أن يتحمل الفاجعة الاخلاقية حينها يقال له أن مسلما طيبا لا ضير فى اسلامه و ان زنى و سرق ، لذلك فان تعديلا أجرى فى رأى ليكون أكثر مقبولا و موفقا ، و جاء هذا رأى فى حديث رواه ابو داؤد و الترمذى ، فقلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

"اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من

ذلك العمل رجع اليه الايمان" (رواه الترمذى و ابو داؤد) (١٠)

”عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن“ (متفق عليه)

و نتيجة لهذه المحاولات الشاقة و النشاط الكامل لتدوين الحديث فى الظروف العصيبة استطاع أهل السنة أى اغلبية الجماعة بوضع تعريف عام للإسلام على يد الشيخ الأشعري و الماتريدى درأ لشر الخارجية و المعتزلة و ذودا عن تردى الجماعة الى هوة سحيقة ،

و عندما نولى اهتمامنا الى مسألة القدرية و الجبرية نجد عائقا كبيرا نتج عن المسألة الاولى أى صلة العقيدة بتعريف المسلم وسلوكه و قد هزت هذه المسألة بيان المجتمع الاسلامى كله فى القرنين الثانى و الثالث ، و قد نشأت المسألة عن حركة الخوارج و نشأت المشكلة الثانية عن المعتزلة الذين كانوا على وجه من الوجوه ورثة للخوارج ،

و القولان متصلان بعضها بعضا ، لان الرجل اذا كان مخيرا فى ارادته و عمله حسب ما يريد فان عمله دليل على كيفية ايمانه الباطن فهو مسئول عن ارادته و عمله جميعا ، و اذا كان ذلك كذلك فان الجدل الاصلى حول من هو مسلم و من هو ليس بمسلم سينشأ مرة اخرى و بعبارة اخرى فان الاعتزال سيؤدى حتما الى بعث الخارجية و الى جانب ذلك فان حركة المعتزلة العقلية اعتبرها المتدينون على أنها صورة من الصور البشرية التى فرضت من الله فرضا على عدد من الناس يعرفون ما هو الحق و العدل - و لما كانت النظريتان تشكلان خطرا داهيا فقد ظهر عدد ضخم من الاحاديث لبث فكرة القدرية على مختلف مراحلها فيما يتعلق بالارادة و القوة المحركة و قد لاحظنا فى الجزء الثانى من هذا الفصل بوا در هذا النوع القدرى من الحديث ولكنه تكاثر فى هذه المرحلة تكاثرا عظيما فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم و ان ماتوا فلا تشهدوهم“ (رواه أحمد و ابو داود عن عبد الله بن عمر) (١١)

بما أن هذا الحديث يدعو الى مقاطعة تامة ضد المعتزلة فانه يشمل على بعض النواحي الفنية التى لا يمكن أن تمت بصلة الى التفكير الفلسفى

لعرب القرن السابع اذ أن الاستدلال الخافت يجرى على هذا النحو: ان الله قادر مطلق ، و اذا كان قادرا مطلقا فلا يمكن ان يكون احد قادرا دون القادر المطلق ، على ان الانسان من اجل ان يكون حرا في ارادته وعمله فلا بد أن يكون قادرا ، وبناء على ذلك فاذا سلمنا للحرية البشرية فلا مناص من أن نسلم للصفيتين الاساسيتين ، الله والانسان و اذا اعتبرنا القدرة البشرية غير أساسية بل انها مشتقة من الله فان حرية الارادة تضحى خيالية بحتة وفي التاريخ نرى الزرداشتية تسلم بالصفيتين الاساسيتين ألا وهما اليزدان و الالهومان ، فاذن الاعتقاد بحرية الارادة البشرية صورة من صور الزرداشتية ، وفقا لحديث آخر قال الرسول صلى الله عليه وسلم ” لا تجالسوا أهل القدر و لا تفتحوهم“ (رواه ابو داود) (١٢) و هناك حديث نجده في البخارى و مسلم يقول قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

”ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر و زنا اللسان المنطق و النفس تمنى و تشتهى و الفرج يصدق ذلك و يكذبه“ (متفق عليه) (١٣)

هذا و نجد عدة أحاديث تقول بصراحة تامة كيف جعل الله عندما خلق الارواح فى الخلود - كيف جعل بعضا فى الجنة و بعضا آخرين فى جهنم و جعل بعضهم ”لا أبالى“ (١٤) و يقول النبى صلى الله عليه وسلم حسب الحديث الذى اوردته البخارى و مسلم :

”ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يربع كلمات فيكتب عمله و أجله و رزقه و شقى و سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لا اله غيره ان احدكم يعمل بعمل أهل الجنة فيد خلماها“ (متفق عليه) (١٥)

غير أن ليس كل الاحاديث قدرية فى معناها الدقيقى اذ أن هنالك أحاديث سنة تعالج هذه المسألة بشكل آخر فهنالك حديث رواه البخارى و مسلم يقول قال الرسول صلى الله عليه وسلم ،

ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه
... الى آخر الحديث (١٦)

كما نجد حديثاً آخر رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد بن حنبل و قد
سأل صحابي الرسول صلى الله عليه وسلم :

أرأيت رقى نستريقها و دواء نتداوى به و تقاة ننتقيها هل ترد من قدر الله
شيئا ؟ قال : هي من قدر الله ،

(رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه) (١٧)

و الى هذه النوع من حديث تضاف رواية تقول ان عمر لما أمر مرة
بأن جيش المسلمين يجب ان يغادر مكانا أصيب بوباء الطاعون ، فقال أحد
الرجال معترضا :

”أفرارا من قدر الله“ فقال عمر ردا عليه :

”نعم من قدر الله الى قدر الله“

و على الرغم من هذا النوع الثانى من الحديث الذى يحاول أن يجعل
التوازن قائما ازاء حديث القدرية فان الاحاديث القائلة بالقدرية ظلت تؤثر
فى تكفير أهل السنة و الجماعة بخلاف أهل الشيعة (الذين تمسكوا بمسلك
المعتزلة فى هذا الصدد)

و على كل فان عددا من علماء السنة قاموا بمناهضة سيطرة القدرية و على
وجه الخصوص الطرق الصوفية و من أشهر هؤلاء العلماء الامام ابن تيميه و
الشيخ أحمد السرهندى -

و لقد بذل علماء أهل السنة مجهودا جبارا لا تحاذ ”الطريق الوسط“ و
منع الاتجاهات المتطرفة و قد أدت هذه المحاولات الى ظهور أحاديث موافقة
أو مخالفة للصوفية ، ولسنا بصدد البحث فى تفصيلات نشأة الصوفية و لا
ننكر وجود هذه الحركة و لكنه يجب أن نقول بأن كان هناك بين الصحابة
من كان ينزع نحو الاتجاهات التعبدية و الزهد بطبيعته الخاصة و سيوله
النفسية على أنه من الاهمية بمكان أن نقول بأن التصوف على تطوره فى القرن
الثانى و القرن الثالث على وجه الخصوص لم يكن يوجد فى صدر العصور
الاسلامية ، و قد نشأت الحركة الصوفية نتيجة للحروب الداخلية و السياسية

من ناحية أخرى وكانت الحركة الصوفية في أولى مراحلها عبارة عن العزلة القصوى والتزهد الى أبعد حدوده ، وقد ذكرنا أنفا حديثا عن العزلة الكلية عند حديثنا عن الحروب الداخلية و نلاحظ أن هذا النوع من الحديث لا يدل على موقف سياسى فحسب بل انه يدل على الناحية الروحية و الى جانب ذلك نجد حديثا في البخارى - كتاب الجهاد يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم :

”..... مؤمن في شعب من الشعاب يتقى الله و يدع الناس من شره“ (١٨)

و مما يلفت النظر اليه أن الحديث قد ورد في صحيح البخارى في فصل الجهاد نفسه فان دل هذا على شيء فانما يدل على قوة الحركة الصوفية و روح أهل السنة الجامعة ، و نجد في الوقت نفسه أحاديث مضادة لها نفس القوة و التأثير كما وأنه يحث على كسب القوت (و هذا مما يخالف تفسير الصوفية لفكرة التوكل) و يشجب تشجيبا شديدا على الرهبانية و هذه الاحداث معروفة جدا فلا داع للتحدث، عن تفصيلاتها (١٩) و هنالك حديث يقول بأن الجهاد هو الرهبانية في الاسلام :

”رهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله عز وجل ... (٢٠) و أهم هذه الاحاديث ما أورده المحدثين ، فيقول هذا الحديث حجب لى من الدنيا النساء و الطيب و جعل قرعة عيني في الصلوة“ (٢١)

و مما لا شك فيه أن كلا من هذه الاحاديث الثلاثة و عناصرها الفردية تمثل سنة النبي عليه الصلاة و السلام على أن الطريقة التي ضمت بها الصلاة مع التمتع بنعيم الحياة و القيم الأخرى تتمشى مع روح السنة النبوية اذ أنه من الواضح أن هذا الحديث قد وضع لغرض واحد و هدف واحد ألا و هو الحط من الروحانية و الصوفية المتطرفة“

انا أوردنا في هذين الفصلين من بحثنا أمثالا من الاحاديث الاساسية ما يبين لنا الاطوار الانمائية لتاريخ الدين الاسلامى في عهده الاول كما أنها تسلط ضوءا على مراحل تطور السنة و لم نتعرض لحديث الفقه لأن الحديث

عن التشريع الاسلامي لا يتصل به صلة وثيقة ولا يوضح تبلور السنة كما يوضحه الحديث الاساسي ، ومع ذلك فان حديث التشريع الاسلامي يمتاز بنفس الطابع الانمائي الذي امتاز بها الحديث الاساسي وذلك فيما يتصل بالسنة الحية للأجيال المسلمة ولا يقتصر على السنة النبوية في معناها الأدبي الخاص و هل يمكن أن تفصل بين السنة النبوية الادبية بكاملها وبين السنة الحية كما يتضح في الحديث العام فانه لا مر صعب جدا ان لم يكن مستحيلا و لكنه من الممكن أن نبين المعالم الاساسية للنوعين من الحديث و هذا مما يحتاج الى دراسة منظمة دقيقة ، و علينا أن نبذل جهودنا لتبيان المراحل المختلفة التي مر بها حديث التشريع الاسلامي و يتحتم علينا هذا العمل الجبار لا بالوازع الاسلامي فحسب بل انه يجب علينا أن نقوم به بدافع حب الدراسة العميقة أيضا من أجل تبيان المراحل المختلفة التي مرت بها فنون الحديث على اختلاف أنواعه بصورة علمية دقيقة فلنأخذ مسألة الربا في الحديث (ولسنا نريد أن نبحث في مسألة الربا في الاسلام و انما نتعرض لهذه المسألة لمجرد التمثيل عن حديث التشريع)

أن هنالك ناحيتان يوضحهما القرآن الكريم بشأن مسألة الربا أولا أن نظام الربا كان يجعل مبلغا أو سلعا يتزايد مرات كثيرة (القرآن الكريم السورة ٣ الآية ١٣٠)

وثانيا أنه كان لأجل ذلك يخالف أو يضر بالتجارة العادلة و ان كان الذين يمارسون يقولون بأنه صورة من الصور التجارية و التعامل التجاري (القرآن الكريم السورة ٢ الآية ٢٧٥) و بيان الربا أو تعريفه الذي يصرح به الحديث التاريخي يعزز ما جاء في القرآن الكريم من الاقوال و هو أن المديون عابدا أن يسدد الدين عند انتهاء المدة أو يربو رأس المال (٢٢) و لانجد أي شائبة من الشواهد التاريخية غير ذلك و لكن الحديث التشريعي الخالص تكاثر تكاثرا عظيما و مما لا شك أنه يعكس السنة الحية للصدر الاسلامي و مرد ذلك التطور ، على أساس الممارسة القانونية و أعمال الرأي فيها و تطور هذا الحديث في التاريخ و يمكننا أن نوضح هذه الظاهرة بالامثال : فهناك حديث عام ينسب الى عمر قال :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يوضح ما يجبىء لذلك فانه من باب الحيطة يجب أن نوسع اطلاق منع الربا كل ما استطعنا الى ذلك سبيلا (٢٣) ومع أن المحاولات المستمرة التي بذلت لوضع نظام خاص بالتفكير التشريعى فى هذا الموضوع فانه يظهر بكل الوضوح فى الحديث ولكن المناقشات لا زالت توجد فيه فمثلا هل يجوز بيع الحيوانات على أساس الربا أم لا ، وكل رأى فى هذا الموضوع يستند الى الحديث (٢٤) والحديث الذى يروى بهذا الصدد أكثر الاحيان أن السلع تحت الربا يجب أن تبادل مقابل المبلغ القائم فى قوته ونجد فى الوقت نفسه حديثا آخر يتمتع بنفس الاهتمام الذى يتمتع به الحديث الآنف الذكر (٢٥) ، ولكنه على نقيض ذلك تماما فيقول أن الربا يكون الدفع المؤجل ولا صلة له بالثمن القائم فى وقته (٢٦)

وان دل هذا على شىء فانما يدل على وجود مكتبين للرأى التشريعى فى هذا الموضوع - و ان كان الاتجاه السائد كان ضد الربا و يدعو الى التمسك الشديد بعدم الاخذ بالربا حتى يمنع الدائن من قبول الهدايا من قبل المديون ، و نذهب أبعد مما جاء فى القرآن الكريم فنجد مبدأ فى صورة حديث يقول " كل فائدة تحصل عن القرض تعتبر ربا " (٢٧) وقت تبادل الاشياء المصنوعة من الذهب والفضة بزيادة المواد الخام و هذه الزيادة لها مبرر بسبب أجرة الصناعة ، قد حرمت تحريما حسب ما يدعو اليه المبدأ فى هذا الحديث (٢٨)

المراجع

- ١- مشكوة المصابيح ص ٤٦١
- ٢- نفس المرجع ص ٤٦٣
- ٣- نفس المرجع ص ٤٦١
- ٤- نفس المرجع ص ٤٧٢
- ٥- نفس المرجع ص ٤٦٢
- ٦- نفس المرجع ص ٤٦٤

- ٧- نفس المرجع ص ٣٠
 ٨- نفس المرجع ص ١٤
 ٩- الاثار لابن يوسف رقم ٨٩١
 ١٠- المشكوة ص ١٨ وايضاً ص ١٧ وحديث للبخارى ومسلم " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"
 ١١- نفس المرجع ص ٢٢
 ١٢- نفس المرجع ص ٢٢
 ١٣- نفس المرجع ص ٢٠
 ١٤- نفس المرجع ص ٢٠ و ٢٣
 ١٥- نفس المرجع ص ٢٠
 ١٦- نفس المرجع ص ٢١
 ١٧- نفس المرجع ص ٢٢
 ١٨- كتاب الجهاد للبخارى رقم
 ١٩- المشكوة ص ٢٧ ، و ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، و أحاديث كثيرة وردت في كتاب العلم ص ٣٨ - ٣٢
 ٢٠- مسند أحمد بن حنبل ص ٣ و ٨٢ و ٢٦٦
 ٢١- النسائي رقم ١
 ٢٢- الرسالة للإمام الشافعي ص ٢٣٤ و السنن الكبرى للبيهقي طبعة حيدرآباد وسنة ١٣٥٢ هـ ج ٥ ص ٢٧٥
 ٢٣- المشكوة ص ٢٤٦
 ٢٤- نفس المرجع ص ٢٤٥ (وقد ورد الحديثان) والبيهقي ص ٢٨٧ و ٢٨٨
 ٢٥- للرأي الأول انظر الى البيهقي ص ٢٨١ - ٢٨٠
 ٢٦- المشكوة ص ٢٤٦
 ٢٧- البيهقي ص ٣٥٠ السطر ١٠
 ٢٨- نفس المرجع ص ٢٧٩